صفات من لا يحبهم اللّه في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعية

د. عبدالله بن خالد بن سعد الحسن[1]

ملخص البحث

موضوع البحث: صفات من لا يحبهم الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم، ودراستها دراسة موضوعية.

أهداف البحث: إبراز صفة الحب والمحبة لله عز وجل التي ذكرها الله عز وجل في كتابه، والتعريف بالصفات التي لا يحبها الله عز وجل ، والوقوف عليها.

منهج البحث: سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي.

أهم النتائج: إثبات صفة الحب والمحبة لله عز وجل، ونقيضها وهو (البغض)، وأن بغض الله عز وجل إما أنْ يكون في جوانب تتعلق بالعقيدة، أو في جوانب تتعلق بالأحكام الشرعية، أو في جوانب تتعلق بالأخلاق، وقد ارتبط بغض الله عز وجل في التعامل معه، وفي التعامل مع عباده المؤمنين، وكذلك في التعامل مع الكفار والمشركين، بل إنَّ الله عز وجل يبغض من اعتدى على مخلوقاته كالأشجار والبهائم.

أهم التوصيات: دراسة الآيات الوارد فيها عدم محبة الله عز وجل، ومقته، وكرهه، وبغضه، ودراستها دراسة موضوعية، وتشمل هذه الدراسة الآيات الصريحة وغير الصريحة، وربطها بأمهات كتب العقيدة.

الكلمات المفتاحية: البغض – الكره – المقت – عدم المحبة – (لا يحب) في القرآن.

(١) الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
Abdullahkh214@gmail.com

Abstract

Title: Characteristics of Those Whom Allah Does Not Love as Mentioned In The Quran: An Objective Study.

Research Objectives: discussing characteristic of love for Allah as mentioned in his holy Book, and identifying and discussing characteristics that Allah does not love.

Methodology: I used in this research the inductive descriptive approach.

Significant Results: characteristic of love for Allah and hatred are proven. The hatred of Allah is either in aspects related to belief, religious rulings, or morality. The hatred of Allah is associated with dealing with Him Almighty, His faithful worshipers, as well as in dealing with the infidels and polytheists. Allah hates those who attacked His creatures, such as trees and animals.

Recommendations: Studying objectively verses of Allah's hatred including direct and indirect verses and linking them to the mothers of the books of faith.

Keywords: hatred-hate-(hate) in Quran.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا وقدوتنا محمد بن عبدالله، وعلى آله الطاهرين، ومن سار على نهجه، واتبع سنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ الله تعالى أنزل كتابه الكريم شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، فالقرآن الكريم أنزل ليرشدنا ويدلنا ويهدينا في جميع شؤوننا الدينية والدنيوية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ولا يخفى على المتأمل حين يقرأ القرآن الكريم يجد فيه من الودائع والأسرار التي لا تظهر إلا لمن أمعن وتأمل وتدبر في كلام ربه، ففيه آيات جاءت لتُنبِّه الإنسان وتحذِّره مِن صفات وأفعال مذمومة لا يحبها الله عز وجل ويكرهها ويمقتها، وفيه آيات تحث وتحض على صفات وأفعال محمودة يحبها الله عز وجل، ولذا؛ جاءت صفة الحب والمحبة في القرآن الكريم نفيًا وإثباتًا، صفة تليق بجلاله، وعظمة سلطانه، فوَصَف نفسه أنَّه يُحِب ولا يُحِب، وأنه يكره ويمقت، وكل ذلك ثابت في الكتاب والسنة.

ومن أجْلِ ذلك أردتُ الوقوف في هذا البحث على الصفات التي لا يحبها الله عز وجل، وجمعتُ الآيات التي اقترن فيها اسم الله عز وجل بالصفة التي لا يحبها في عباده، ودراستها دراسة موضوعية، وأسميتها: (صفات من لا يحبهم الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية)، أسأل الله الإعانة والتوفيق.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١. أن الموضوع متعلق بصفة من صفات الله عز وجل، وقد وصف بها نفسه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

٢. ارتباط هذه الصفة بالله عز وجل إثباتًا ونفيًا، (يحب) و (لا يحب).

٣. اختلاف الفِرق في هذه الصفة، مما يجدر الكتابة فيها، وإثبات عقيدة أهل السنة والجماعة فيها.

أهداف البحث

١. تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الحبة والمحبة لله عز وجل.

٢. إبراز صفة الحب والمحبة لله عز وجل التي جاء ذكرها في القرآن الكريم نفيًا وإثباتًا.

٣. الوقوف على الصفات التي اقترنت بعدم محبة الله عز وجل، ودراستها دراسة موضوعية.

حدود البحث

جمع ودراسة الآيات التي اقترنت فيها الصفات التي لا يحبها الله عز وجل بعدم محبته، وعددها -التي ذُكر فيها (لايحب)- ثلاث وعشرون موضعًا، وكلمتان جاءت مرادفة، وهي: (الكره والمقت)، وهي في آيتين فقط.

الدراسات السابقة

بعد البحث والاستقصاء؛ لم أجد كتابًا أو رسالة أو بحثًا كُتب عن هذا الموضوع.

خطة البحث

وتشتمل على: مقدمة، وتمهيد، وتسعة مباحث، وخاتمة، وثبت بأهم المصادر والمراجع.

المقدمة: وتشتمل على:

أهمية البحث وسبب اختياره، وأهداف البحث، وحدود البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: وفيه:

- الحب والمحبة صفة لله عز وجل.
- متضادات الحب في القرآن الكريم: (الكره والمقت).

المبحث الأول: من اتصف بعدم الإيمان والتولي عن طاعة الله ورسوله.

المبحث الثاني: من اتصف بتحليل ما حرَّم الله.

المبحث الثالث: من اتصف بالظلم.

المبحث الرابع: من اتصف بالاعتداء.

المبحث الخامس: من اتصف بالفساد.

المبحث السادس: من اتصف بالإسراف.

المبحث السابع: من اتصف بالخيانة.

المبحث الثامن: من اتصف بالاستكبار.

المبحث التاسع: من اتصف بالاختيال والافتخار والفرح والبطر.

ثم **الخاتمة**، وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

ثم **فهرس** لمصادر البحث.

منهج البحث

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي، وذلك وفق ما يلي:

١. جمع الآيات القرآنية التي ذكر فيها صفات من لا يحبهم الله عز وجل، مع عزو الآيات إلى سورها، وبيان رقم الآية واسم السورة، حسب الرسم العثماني.
٢. تصنيف تلك الآيات تصنيفًا موضوعيًا في مباحث، ويتضمن كل مبحث عددًا من المطالب المناسبة.

٣. تخريج الأحاديث والآثار التي استشهدتُ بها في البحث، فإن كان من الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو أحدهما، وإن كان في غيرهما أخرجه من كتب السنة التي أوردته.

٤. تخريج القراءات الواردة في البحث من الكتب الأصيلة.

٥. ذكر أقوال العلماء في المراد بالآيات القرآنية الواردة في البحث.

٦. وضع خاتمة للبحث، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد

وفيه:

الحب والمحبة صفة لله عز وجل

جاء ذِكر الحب والمحبة في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وجاءت كذلك مقرونة بلفظ الجلالة، إما بإثبات المحبة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾، وإما بنفيها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ﴾، وقد ذكر بعض العلماء أنَّ الحب -بمعناه الاصطلاحي- هو: الميل لما يوافق المحبوب [١]، ويتضح تعريفهم هذا ما يكون بين المخلوقين، وهو في حق الله عز وجل محال؛ لأنَّ الميل والانتفاع يكون عند المخلوق، أمَّا الخالق سبحانه وتعالى فمنزَّه عن ذلك، فمحبته عز وجل لعباده ليست بشغف؛ كما هو حاصل بين المخلوقين بعضهم بعضًا، لذا نثبت هذه الصفة لله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه، فسلف الأمة وأعلام السنة وأئمتها على إقرار محبة الله عز وجل على ما جاءت عليه في الكتاب والسنة [٢]، فالله عز وجل هو الودود المحب لعباده، فهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، وكذلك هم يحبونه ودًّا وإخلاصًا وإنابة مِن جميع الوجوه [٣]، فمحبته عز وجل لعباده تقتضي: فعل محبوباته، وترك مكروهاته، فلو انتفت المحبة لانتفت جميع أركان ومقامات الإيمان والإحسان، ولتعطَّلت منازل السير إلى الله [٤].

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ١/ ٢١٤. ومفاتيح الغيب، للرازي، ١٤/ ٢٨٢.
(٢) انظر: قاعدة في المحبة، لابن تيمية، ص٥١.
(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، ص٥٢. وتفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي، ص٢٤٢.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١١/ ٥٢٠. ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ٣/ ٢٧.

وقد اختلفت المذاهب في إثبات هذه الصفة ونفيها أو تأويلها، فمذهب أهل السنة والجماعة على إثبات محبة الله عز وجل لعباده، وإثبات محبة العباد لربهم، فالله يحبهم وهم يحبونه، فقد جاءت النصوص الكثيرة الدالة على إثبات هذه الصفة، كما قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وجاء في الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: «لأعطين الرَّاية غدًا رجلًا يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»(١)، فعلماء أهل السنة والجماعة على إثبات الحب والمحبة صفة لله عز وجل كأي صفة من صفاته المثبتة له سبحانه وتعالى، فإنهم لا يأوِّلونها، ولا يحرفونها، ولا يعطلونها، ولا يكيفونها، ولا يشبهون الله تعالى فيها بأحد مِن الخلق، فجميع طرق الأدلة -عقلًا، ونقلًا، وفطرة، وقياسًا، واعتبارًا، وذوقًا ووجدًا- تدل على إثبات محبة العبد لربه، والرب لعبده(٢).

أمَّا من عطَّلوا هذه الصفة -وَهُمْ الجهمية المعطلة وأهل الكلام- فمذهبهم في ذلك أنَّه لا يُحِب ولا يُحَب، فأوَّلوا نصوص محبة العباد لله عز وجل على محبة طاعته وعبادته، وأوَّلوا نصوص محبته عز وجل لهم بإحسانه إليهم، وإعطائه الثواب، أو بإرادته لذلك(٣).

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنَّ الله عز وجل نفى محبته عن صفات يبغضها سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللهُّ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وغيرها مِن الآيات، وأيضًا جاءت السنة أنَّ الله عز وجل لا يحب

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم على يديه رجل، ٤/ ٦٠، رقم: (٣٠٠٩). وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابي رضي الله عنه، باب: من فضائل علي بن أبي طالب، ٤/ ١٨٧٢، رقم: (٢٤٠٦).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ٣/ ٢٠.

(٣) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ص٣٨-٣٩. والأسماء والصفات، للبيهقي، ٢/ ٤٦٧. والاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي، ص٣٧-٣٨.

الصفات القبيحة، كما قال النبي ﷺ: «مه يا عائشة، فإنَّ الله لا يحب الفحش والتفحش»[١]، ومفهوم المخالفة يقتضي إثبات محبة الله عز وجل لمن تجنب هذه الصفات والأفعال، وأيضًا إذا استخدم الإثبات والنفي في شيء فإنَّه يدل على الحقيقة لا على المجاز كما يزعم مِن أوَّل أو عطل أو شبَّه صفة الحب والمحبة لله عز وجل.

متضادات الحب في القرآن الكريم: (الكره والمقت)

ورد في القرآن الكريم موضعان متضادان لكلمة الحب، فالموضع الأول كلمة: (كَرِهَ)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، وهي تتحدث عن المتخلِّفين مِن المنافقين عن الجهاد في سبيل الله عز وجل[٢]، فالله عز وجل كَرِه وأبغض خروجهم مع النبي ﷺ، وقد أوَّل بعض المفسرين الكُرْه هنا بعدم الإرادة[٣]، أي: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ﴾ أي: لم يُرِد الله، وهذا مخالف لمنهج السلفِ، فالسلفُ يُثْبِتون صفة الكراهة، بناء على قاعدتهم بأنَّ الله عز وجل يُوصف بما وصف به نفسه، وكذلك بما وصفته به رسله عليهم السلام نفيًا وإثباتًا، مِن غير تكييف لتلك الصفة، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل[٤].

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، ٤/ ١٧٠٧، رقم: (١١).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٤/ ٢٧٦. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ١٥٩). وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٣٣٩.

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، ٢/ ٦٣. والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، ٥/ ٥١. والتفسير البسيط، للواحدي، ١٠/ ٤٦٢. وتفسير الجلالين، ص٢٤٨. ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٨/ ٤٩٠.

(٤) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني، ص١٨٩. ومجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣/ ٣. ومدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٥٠.

وكلمة (الكُرْه) هنا: هي ضد الحب[١]، فـ ﴿كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ أي: لا يحب الله انبعاثهم، وقد جاء في الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: «مَن أَحَبَّ لقاء الله، أَحَبَّ اللهُ لقاءه، ومَن كَرِهَ لقاءَ الله، كَرِهَ اللهُ لقاءه»[٢]، فقول النبي ﷺ هنا: «ومَن كره لقاء الله» هو في مقابل قوله: «مَن أحب لقاء الله»[٣]، وجاء أيضًا في صحيح مسلم أنه ذُكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء فقال ﷺ: «كان يومًا يصومُه أهل الجاهلية، فمَن أحَبَّ منكم أنْ يصومه فليصمه، ومَن كَرِهه فليدعه»[٤]، قال ابن الأثير: (المكروه: ضد المحبوب، ألا تراه جاء بهما في هذا الحديث متقابلين فقال: «مَن أحب صيامه فليصمه، ومَن كره فليدعه»، تقول: كرهت أكرهه كراهة وكراهية، فهو شيء كريه ومكروه)[٥]، فهذه الصفة -الكُره- ثابتة في الكتاب والسنة، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى، وأيضًا هي تقابل كلمة (الحب) كما جاء في الأثر وكتب اللغة.

والموضع الثاني المتضاد لكلمة (الحب) هي كلمة: (مَقْت)، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، وهي تتحدث عن حال الكفار يوم القيامة عندما ينادَون لدخول النار، فيقال لهم يومئذ: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ﴾ أي: غضَب الله عليكم وسخطه أشد مِن مقتكم وغضبكم

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ٦/ ٢٢٤٧، مادة: كره. والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للحموي، ٢/ ٥٣٢، مادة: ك ر ه.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ٨/ ١٠٦، رقم: (٦٥٠٧). وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، ٤/ ٢٠٦٥، رقم: (٢٦٨٣).
(٣) انظر: النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، لابن عاشور، ص٢٥٠.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء، ٢/ ٧٩٣، رقم: (١١٢٦).
(٥) الشافي في شرح مسند الشافعي، لابن الأثير، ٣/ ٢٤٣.

وسخطكم على أنفسكم[١]، وقد أوَّل بعض المفسرين المقت هنا بالمجاز، أي: أشد الإنكار والزجر[٢]، وهذا مخالف لمنهج السلفِ، فالسلفُ يُثْبِتون صفة المقت كما هي [٣]، قال شيخ الإسلام: (وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾[٤].

وكلمة (المقت): أشد البغض، وهي ضد الحب كذلك[٥]، وقد جاء في صحيح مسلم أنَّ النبي ﷺ قال: «...، وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض، فَمَقَتَهُم عربهم وعجمهم، إلا بقايَا مِن أهل الكتاب»[٦]، فهذه الصفة -المقت- ثابتة في الكتاب والسنة، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى، وأيضًا هي تقابل كلمة (الحب).

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، ٣/ ١٩٩.
(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري، ٤/ ١٥٤. ومفاتيح الغيب، الرازي، ٢٧/ ٤٩٤. والبحر المحيط لأبي حيان، ٩/ ٢٤١. واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، ١٧/ ٢٠.
(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للهراس، ص١٠٨-١٠٩. وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، ١/ ٢٧٤.
(٤) التدمرية، لابن تيمية، ص٢٦.
(٥) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، ١/ ٣٨٦. وأساس البلاغة، للزمخشري، ٢/ ٢٢١.
(٦) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدينا أهل الجنة وأهل النار، ٤/ ٢١٩٧)، رقم: (٢٨٦٥).

المبحث الأول

من اتصف بعدم الإيمان، والتولي عن طاعة الله ورسوله

جاءت نصوص الشريعة في التحذير مِن الاتصاف بعدم الإيمان، أو الاتصاف بالكفر بالله وبرسوله، فقال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ(٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الروم: ٤٤-٤٥]، فقد خصَّ الله عز وجل جزاءه مِن فضله الذين آمنوا وعلموا الصالحات دون مَن كفر، فإنَّه عز وجل لا يحب أهل الكفر به، لذا جاءت الآية بعد ذكر جزاء الذين آمنوا مستأنفة بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ(٤٥)﴾(١).

والمتأمل في الآيتين يجد تكريرًا في مَن وُصِف بالإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ(٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ [الروم: ٤٤-٤٥]، وذلك للتقرير على أنَّه لا يفلح عند الله عز وجل إلا المؤمن الصالح، ثم جاء بعد هذا الوصف قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ(٤٥)﴾ وهو تقرير بعده على الطرد والعكس، أي: لا يفلح عند الله عز وجل الكافر، فقد أوعدهم الله عز وجل بوعيد ولم يذكر تفصيله؛ لأنَّ عدم المحبة مِن الله عز وجل غاية العذاب(٢)، فجاء الاقتصار على جزاء المؤمنين؛ للإشعار بأنه المقصود بالذات، وجاء الاكتفاء في قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ(٤٥)﴾؛ لإثبات البغض لهم، والمحبة للمؤمنين(٣).

وهنا لطيفة، وهي أنَّ الله عندما أسند الكفر والإيمان إلى الإنسان قدَّم الكافر، فقال:

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢٠/ ١١٢. وبحر العلوم، للسمرقندي، ٣/ ١٦.
(٢) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان، ٨/ ٣٩٧. والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢١/ ١١٧.
(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ١٥/ ١١١-١١٢.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾، وعندما أسند الجزاء إلى نفسه سبحانه وتعالى قدَّم المؤمن، فقال: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ(٤٥)﴾؛ لأنَّ قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ وعيد للكافر ليمنعه مِن الكفر، وتهديد له، وقوله: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ خالصة للمؤمن لتحريضه على الإيمان والطاعة، فجاء ذكر الوعيد للنهي عن هذه الصفة، وجاء ذكر التقرير للتحريض والحث على الإيمان، فالوعيد مقدَّم، وعندما ذكر سبحانه وتعالى الجزاء بدأ بالإحسان؛ إظهارًا لكرمه ورحمته عز وجل(١).

وجاء توحيد الضمير في قوله: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾؛ ليدل على أنَّ كل واحد مجزي بعمله لا المجموع من حيث هو مجموع، وأيضًا لأنَّ الكفرة قليل وإنْ كانوا أكثر مِن المؤمنين؛ لأنهم لا مولى لهم، وكذلك لتفرق كلمتهم، كما قال تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [سورة الحشر: ١٤](٢).

وفي المقابل جاءت آيات تحث على طاعة الله وطاعة رسوله، وعدم التولي عن طاعة الله طاعة ورسوله، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، فقد قرن سبحانه وتعالى طاعته بطاعة رسوله ﷺ، فمن تولَّى وأعرض عن طاعتهما فقد وقع في بغض الله وعقابه، وذلك في عدم محبة الله له؛ لأنَّ مَن تولَّى عن طاعة رسول الله ﷺ فقد تولَّى عن طاعة الله عز وجل(٣)، وطاعة الله عز وجل معلَّقة بطاعة رسوله ﷺ، ولا تتم طاعة الله عز وجل مع عصيان رسوله، فقد قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ٢٥/ ١٠٦-١٠٧.
(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ١٥/ ١٠٩.
(٣) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، ١/ ٢٠٧. والكشف والبيان، للثعلبي، ٣/ ٥١. والبحر المحيط، لأبي حيان، ٣/ ١٠٤. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٣٢.

أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فجاء الإخبار منه سبحانه وتعالى بأنَّ مَن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاعه عز وجل، ومَن عصا محمدًا فقد عصياه؛ لأنه معصوم، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال الذي لا ينطق عن الهوى: «مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصى الله»(١).

وفي موضع آخر، نجد أنَّ حب الله عز وجل لعباده متعلِّق باتباعهم لنبيه ﷺ، وطاعته فيما أمر، واجتناب عمَّا نهى عنه وزجر، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣١)﴾ [آل عمران: ٣١]، فمَن اتصف بالتولي عن طاعة الله ورسوله، فقد وقع عليه بغض الله، وفي المقابل مَن أطاع الله ورسوله، فقد نال محبة الله عز وجل.

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، يجد تكرارًا في ذكر اسم الله عز وجل، وكان يكفي أنْ يقول: فإنه لا يحب الكافرين، وذلك لأنَّ العرب إذا عظَّموا شيئًا كرَّروا ذِكره، والتولِّي عن طاعة الله ورسوله مِن الأمور العظيمة الموصلة إلى الكفر، وأيضًا لم يقل: فإنَّ الله لا يحبهم؛ وذلك لغرض العموم، وفيه دلالة أيضًا على أنَّ التولي كفر، ونفس المحبة كناية عن بغضه عز وجل لهم، وسخطه عليهم(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: من يقاتل وراء الإمام ويتقى به، ٤/ ٥٠، رقم: (٢٩٥٧). وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، ٣/ ١٤٦٦، رقم: (١٨٣٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني، ١/ ٣١١. وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ٢/ ١٣.

المبحث الثاني
من اتصف بتحليل ما حرَّم الله

قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ(٢٧٦)﴾ [البقرة: ٢٧٦]

الإيمان بالله قائم على تصديق حُكم الله عز وجل وحُكم رسوله، فمِن أعظم أصول الإيمانِ الإيمانُ بوجوب الواجبات التي شرعها الله سبحانه وتعالى، وكذلك تحريم المحرمات، والجاحد لتلك الواجبات والمحرمات -سواء كان بتحريم ما أحلَّ الله، أو بتحليل ما حرَّم الله- كافر بالاتفاق[١]، ومِن تلك المحرَّمات التي حرَّمها عز وجل الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ: استحلال الربا، فقد قال تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فجوَّزوا الربا لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه[٢]، وجاء التشنيع في أكل الربا، والأمر بتركه، وأنَّ مَن أكله فكأنما هو يحارب الله ورسوله على فعله ذلك، فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وجاء أيضًا اللعن لآكل الربا، وموكله، وشاهده، وكاتبه[٣]، وأنَّها كذلك مِن السبع الموبقات المهلكات، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: «اجتنبوا السبع الموبقات»، وذكر منها: «وأكل الربا»[٤].

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٢/ ٤٩٦.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٧٠٩.
(٣) كما جاء في مسند الإمام أحمد، مسند عبدالله بن مسعود، ٤/ ١٠، رقم: (٣٧٢٥). وهو قوله: «لعن الله آكلَ الربا، ومُوكِله، وشاهدَه، وكاتِبَه». قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (سنده صحيح)، ٥/ ٤٢٠.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ...﴾ [النساء: ١٠]، ٤/ ١٠، رقم: (٢٧٦٦). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، ١/ ٩٢، رقم: (١٤٥).

وقد ذكر الله عز وجل أنه يمحق الربا، وفي المقابل أنه يُربي الصدقات؛ لأنه سبحانه وتعالى طيِّبٌ لا يقبل إلا طيبًا[١]، وجاء في فضل الصدقة أنَّ النبي ﷺ قال: «ما تصدَّق أحد بصدقة من طَيِّب، ولا يقبل الله إلا الطَّيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإنْ كانت تمرة، فتربو في كفِّ الرحمن حتى تكون أعظم مِن الجبل، كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّهُ أو فَصِيلَه»[٢].

والتذييل في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ هو تغليظ في أمر الربا، وفيه إيذان بأنَّ هذا الفعل مِن فعل الكفار، لا مِن فعل المسلمين، فالله عز وجل لا يحب كل مُصرٍّ مقيم على الكفر، مستحل أَكْل الربا وإطعامه، و ﴿أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ أي: متماد في الإثم فيما نُهي عنه مِن أكل الربا وغيرها[٣].

وأيضًا جاءت صيغ المبالغة في قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ ، فـ ﴿كَفَّارٍ﴾ على وزن فعَّال، و ﴿أَثِيمٍ﴾ على وزن فعِيل، وهما بمعنى المبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام، والتمادي فيه[٤]، فجاء النهي في الآية عن عِظم فعل مَن استحل ما حرَّم الله، وأنَّه لا ينال بذلك محبة الله، ومنها الربا وأكله؛ لأنَّ الربا مِن الموبقات المهلكات، وسمِّيت

(١) كما جاء في صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب والطيب وتربيتها، ٢/ ٧٠٣، رقم: (١٠١٥)، وهو قوله ﷺ: «أيها الناس، إنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، ...».

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ٢/ ٧٠٢، رقم: (١٠١٤).

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٦/ ٢١. وبحر العلوم، للسمرقندي، ١/ ١٨٣. والكشف والبيان، للثعلبي، ٢/ ٢٨٤. ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، ١/ ٣٤٤. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ١/ ٣٧٣. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ١٥٩.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ٧/ ٨١. والبحر المحيط، لأبي حيان، ٢/ ٧١٠. واللباب، لابن عادل، ٤/ ٤٥٨.

موبقات؛ لأنَّ الله تعالى إذا أراد أنْ يأخذ عبده بها أوبقه في نار جهنم[١].

والمتأمل في الآية السابقة لهذه الآية في تحريم الربا، وأنَّ بعضهم جعل البيع مثل الربا؛ لأنَّ الربا كان مرغِّبًا أكثر مِن البيع، لِما فيه مِن الربح المشاهد، بخلاف الصدقة -في نظرهم- أنها نقص، بيَّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنَّ الربا -وإنْ كان بصورة الزيادة- نقص، وأنَّ الصدقة -وإنْ كانت بصورة النقص- زيادة؛ لأنَّ ذلك إنما هو بيده سبحانه وتعالى، فما شاء محقه وإنْ كان كثيراً، أو شاء رباه ونماه وإن كان قليلًا[٢].

(١) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٨/ ٤٨٩.
(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٤/ ١٣٤.

المبحث الثالث
من اتصف بالظلم

جاءت الشريعة بالنهي عن الظلم بكافة أنواعه وطُرقه، بل وأنَّ الله عز وجل جعله محرَّمًا على نفسه، كما جاء في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا،... »[١]، وأمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بنصرة الظالم أو المظلوم، كما قال النبي ﷺ: «انصر أخاك ظالـمًا أو مظلومًا»، قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالـمًا؟ قال: «تأخذ فوق يديه»[٢]، وهذا يدل على عظمة هذا الدين العظيم الذي ما ترك شيئًا إلا قوَّمه وحسَّنه، حتى أنَّ الظالم يُنصر بالأخذ بيده لكي لا يظلم.

ويمكن تقسيم هذه الصفة التي لا يحبها الله عز وجل على النحو التالي:

أولاً: الظالم لنفسه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ(٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٥٧)﴾ [آل عمران: ٥٦-٥٧].

فالله سبحانه وتعالى يجازي المسيء ممن كفر وظلم نفسه، ويجازي المحسن ممن آمن واتبع هداه، والمتأمل في الآيتين يجد أنَّ الله عز وجل نفى محبته فقال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٥٧)﴾ ، أي: نفى عن نفسه أنْ يظلم عباده، فقال: إني لا أحب الظالمين، فكيف أظلم خلقي؟ فالله لن يجازي المؤمن المحسن جزاء مَن كفر به وكذَّب رسله، ولن يجازي الكافر ممن خالف أمره وكذَّب رسله جزاء مَن آمن به[٣].

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٤، رقم: (٢٥٧٧).
(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: أعن أخاك ظالـمًا أو مظلومًا، ٣/ ١٢٨، رقم: (٢٤٤٤).
(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٦/ ٤٦٦. وبحر العلوم، للسمرقندي، ١/ ٢١٩.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٥٧)﴾ تقرير بأنَّ الله عز وجل لا يحب الظلم، وأيضًا لا يحب الظالمين الذين خالفوا أمره(١)، ففي الآيتين احتباك(٢)، أي: فأما الذين آمنوا فنوفيهم أجورهم؛ لأنِّي أحبهم، والله يحب الذين يعدلون ولا يظلمون، والذين ظلموا نحبط أعمالهم؛ لأنِّي لا أحبهم، والله لا يحب الظالمين الذين لا يعدلون، فوفَّى أجرهم أوَّلًا، ونفاه ثانيًا، وأثبت الكراهة ثانيًا ليثبت ضدها أوَّلًا، وحقيقة الأمر أنه سبحانه وتعالى أثبت محبته للمؤمنين، ونفى محبته للظالمين(٣).

والتذييل في نهاية الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٥٧)﴾ تذييل للآيتين معًا، فهو تذييل لجملة: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بصريح معناها، أي: أعذبهم؛ لأنهم ظالمون، وتذييل لجملة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بكناية(٤) معناها(٥).

وفي نفس السورة -آل عمران- ذكر الله عز وجل الظالم لنفسه لعدم صبره، وإظهار إيمانه وإبطان كفره، وتخذيله للمؤمنين(٦)، فقال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ٢/ ٢٠.
(٢) الاحتباك: هو أنْ يُحذف مِن الأوائل ما جاء نظيره أو مقابلة في الأواخر، ويُحذف مِن الأواخر ما جاء نظيره أو مقابلة في الأوائل. كقوله: علَّفتها تبنًا وماء باردًا، أي: علَّفتها تبنًا، وسقيتها ماء باردًا. انظر: البلاغة العربية لحبنكة، ٢/ ٥٤.
(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٤/ ٤٢٤.
(٤) الكناية هي: أنْ يريد المتكلِّم إثبات معنى مِن المعاني، فلا يذكره باللَّفظ الموضوع له في اللَّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلًا عليه، كأنْ يُقال للمرأة: نؤوم الضُّحى، والمراد أنَّها مترفة مخدومة. انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني، ص٥١. ومفتاح العلوم للسكاكي، ١/ ٤٠٢. وعروس الأفراح للسبكي، ٢/ ١٨.
(٥) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣/ ٢٦١.
(٦) انظر: جامع البيان، للطبري، ٧/ ٢٤٤. ومفاتيح الغيب، للرازي، ٩/ ٣٧٤.

الظَّالِمِينَ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فالآية في وصف حال المؤمنين المجاهدين الصابرين، وفي وصف حال المنافقين الذين يخذِّلون ويخذُلون، فجاء الاصطفاء مِن الله عز وجل في اتخاذه مِن عباده الصابرين شهداء، ثم أخبرنا سبحانه وتعالى أنه لا يحب أولئك الظالمين، أي: لا يحب ذلك الرجل الذي لا يثبت على الإيمان، وصابرًا على الجهاد، وأيضًا فيه إشارة إلى أنَّ الله عز وجل يحب المؤمنين الصابرين الثابتين(١).

ونلاحظ في هذه الآية أنَّ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴿١٤٠﴾﴾ جاءت معترضة؛ ليبيِّن لنا سبحانه وتعالى أنَّه لا يحب مَن لبس على الثابتين المجاهدين في سبيله، وهم المنافقون - الذي يخذِّلون المؤمنين- والكافرون -الذين يمسون المؤمنين بسوء-، ففيها تشديد وتأكيد على أنَّ مناط انتفاء محبته هو الظلم(٢).

وقد حثَّ الله الصابرين على البلاء عمومًا، وأجزل لهم الأجر والمثوبة، فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، أي: بغير حد؛ لأنَّ منزلة الصابرين عند الله عظيمة، وفضيلة الصبر عند الله غالية، ولهذا جاءت الآية في نفي محبة الله عز وجل عن الذي لا يصبر على البلاء، ومفهومها أنَّ الله عز وجل يحب مَن صبر على البلاء، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ونجد في الآية ابتلاء للمؤمنين؛ ليمحِّصهم ربهم عز وجل، واستدراجًا للكافرين ومَن شاكلهم -كالمنافقين-؛ ليمحقهم، فلذا؛ جاءت الآية بعدها بقوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، ١/ ٣٠٢.
(٢) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان، ٣/ ٣٥٥.

ثانيًا: الظالم لغيره، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٤٠)﴾ [الشورى: ٤٠]

ذكر الله عز وجل في هذه الآية ثلاثة مراتب للعقوبة، وهي: عدل، وفضل، وظلم(١).

فالمرتبة الأُولى: العدل، جاءت في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، وهي كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، لا زيادة ولا نقص.

والمرتبة الثانية: الفضل، وجاءت في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، وهي كقوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥]، وهي العفو والإصلاح عن المسيء، فيجزيه على ذلك أجرًا عظيمًا، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «...، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، ...»(٢). فجعل جزاء العَافِين عن الناس عنده وحده عز وجل ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾، ليس عند أحد مِن خلقه.

والمرتبة الثالثة: الظلم، وجاءت في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٤٠)﴾ ، وهم الذين يعتدون على الآخرين ابتداء، أو يعتدون على الجاني بأكثر مِن جنايته، فهذا مِن الظلم أيضًا(٣).

وقد جاءت الشريعة بالتحذير مِن الظلم، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، وقال النبي ﷺ فقال: «اتقوا الظلم، فإنَّ الظلم ظلمات يوم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٧/ ٢١١-٢١٢. وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٧٦٠. والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٥/ ١١٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، ٤/ ٢٠٠١، رقم: (٢٥٨٨).

(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢١/ ٥٤٨. وبحر العلوم، للسمرقندي، ٣/ ٢٤٦. والكشف والبيان، للثعلبي، ٨/ ٢٣٢. وتفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ٥/ ٥٣. ومعالم التنزيل، للبغوي، ٧/ ١٩٨.

القيامة،...»[1]، ونبَّه أنَّ المسلم أخو المسلم، وربط الأخوة بعدم الظلم فقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمه، ...»[2].

والمتأمل في تذييل الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ هو تعليل لكلام محذوف دلَّ عليه سياق الآية، فالتقدير يكون: إنَّه يحب العَافِين، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فالله عز وجل لا يحب الظالم الذي يعتدي على غيره، سواء بقول أو فعل، ومَن اتصف بتلك الصفة فقد نال بغض الله عز وجل.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٦، رقم: (٢٥٧٨).
(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، ٣/ ١٢٨، رقم: (٢٤٤٢)، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٦، رقم: (٢٥٨٠).

المبحث الرابع
من اتصف بالاعتداء

جاءت الشريعة بالنهي عن الاعتداء بكافة أنواعه وطُرقه، بل وحتى جاء النهي في الاعتداء مع المشركين، والله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ، بل أمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالإحسان حتى مع المخالفين مِن المشركين، وذلك يدل على عظمة هذا الدين العظيم.

ويمكن تقسيم هذه الصفة التي لا يحبها الله عز وجل على النحو التالي:

أولًا: الاعتداء في القتال، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

أمر الله عز وجل المسلمين بمقاتلة أعدائه، وجاء التَّدرُّج في هذا الحُكم، فقد كان القتال محرَّمًا عليهم، ثم أذِن الله لهم، ثم أمرهم لمن ابتدأهم بالقتال، ثم أمرهم بقتال جميع المشركين(١).

وجاء النهي في الاعتداء في القتال وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾، وهذا النهي يشمل جميع أنواع الاعتداء، مِن قتلِ مَن لا يقاتِل، كالنساء والأطفال ونحوهم، وأيضًا التَّمثيل بالقتلى، وأيضًا قتل الحيوانات، وقطع الأشجار لغير منفعة، ومِن الاعتداء أيضًا قتال مَن تُؤخذ منهم الجزية، فإنَّ ذلك أيضًا مِن الاعتداء عليهم(٢)، وهذا يدل على عظمة هذا الدين العظيم، فالله عز وجل حذَّر مِن الاعتداء في القتال، ومَن وقع في ذلك فقد نال بغض الله عليه.

ومِن دلائل عظمة هذا الدين -حتى عند القتال مع المشركين- أنَّ النبي ﷺ إذا عيَّن أميرًا على جيش، أو سرية، يوصيه ثم يقول: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ٣/ ٦٤. وانظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ١/ ١٠١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢/ ٣٥٠. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٥٢٤.

بالله، اغزوا ولا تَغُلُّوا، ولا تَغْدِرُوا، ولا تَمْـثُلُوا، ولا تقتلوا وليدًا،... »[١]، وجاء في الصحيحين عن ابن عمر ﷺ قال: وُجِدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، «فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان»[٢]، قال النووي -معلقًا على هذا الحديث-: (أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث، وتحريم قتل النساء والصبيان ...)[٣].

والمتأمل في الآية يجد التذييل فيها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(١٩٠)﴾، وهو كالتعليل لِما قَبله مِن النهي عن الاعتداء في القتال، وأنه مَن تجرَّأ على الاعتداء في القتال فقد نال بغض الله عز وجل[٤].

وقال بعض العلماء[٥]: أنَّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وروي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ لا تقتلوا النساء ولا الصِّبيان ولا الشيخ الكبير ولا مَن ألقى إليكم السَّلَمَ وكفَّ يَده، فإن فَعلتم هذا فقد اعتديتم)[٦]، وهذ يدل أنها محكمة، وليست منسوخة[٧].

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ٣/ ١٣٥٧، رقم: (١٧٣١).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: قتل النساء في الحرب، ٤/ ٦١، رقم: (٣٠١٥). وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ٣/ ١٣٦٤، رقم: (١٧٤٤).
(٣) شرح النووي على مسلم، ١٢/ ٤٨.
(٤) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان، ٢/ ٢٤٢. ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٣/ ١٠٨. وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ١/ ٢٠٤٩.
(٥) انظر: الناسخ والمنسوخ، للنحاس، ص١٠٧. والناسخ والمنسوخ، للمقري، ص٤٤.
(٦) انظر: جامع البيان، للطبري، ٣/ ٥٦٣. وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ١/ ٣٢٥. والدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، ١/ ٤٩٣.
(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ، لابن حزم، ص٢٧. والمصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ=

ثانيًا: الاعتداء في الدعاء، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

أمر اللهُ عز وجل عباده بالدعاء في مواضع كثيرة في القرآن والسنة، وهو مِن أجلِّ العبادات، فقد قال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة»(١)، فقوله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أي: ادعوا ربكم وحده، وأخلصوا له الدعاء، والتضرع هو: التذلل والاستكانة لطاعة الله عز وجل، والخفية أي: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين بوحدانيته سبحانه وتعالى، لا جهارًا ولا مراءاة(٢)، وقد أثنى الله عز وجل على زكريا عليه السلام فقال: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا(٢)إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا(٣)﴾ [مريم: ٢-٣]، وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال -عندما رفع الناس أصواتهم بالدعاء-: «أيها الناس، ارْبَعُوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم»(٣).

وقد نهى الله عز وجل عن الاعتداء في الدعاء، وأنه لا يحب المعتدين في الدعاء، والاعتداء في الدعاء على وجوه كثيرة، منها(٤):

=والمنسوخ، لابن الجوزي، ص١٩. واختار الطبري -بعد أنْ ساق الآثار- بأنها محكمة. انظر: جامع البيان، ٣/ ٥٦٣.

(١) سنن الترمذي، أبواب التفسير، باب: ومن سورة البقرة، ٥/ ٢١١)، رقم: (٢٩٦٩). قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١/ ٦٤١.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٢/ ٤٨٥. وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ٥/ ١٤٩٩. والتفسير البسيط، للواحدي، ٩/ ١٧٨. ومعالم التنزيل، للبغوي، ٣/ ٢٣٧. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٧/ ٢٢٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/ ١٣٣، رقم: (٤٢٠٥). وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، ٤/ ٢٠٧٦، رقم: (٢٧٠٤). واللفظ لمسلم بزيادة: (أيها الناس).

(٤) انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ٣/ ١٣-١٤. بتصرف

- أنْ يكون في الدعاء شيء مِن الشرك، وهذا مخالف للآية؛ لأنَّ الله عز وجل أمرنا أنْ ندعوه تضرعًا وخفية.
- أنْ يعلِّق الدعاء على المشيئة، فقد جاء النهي عن ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إنْ شئت، ارحمني إنْ شئت، ارزقني إنْ شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء، لا مكره له»(١).
- الدعاء على مَن لا يستحق الدعاء، فقد جاء النهي عن ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل»(٢).
- الجهر الكثير والصياح، وأنْ يدعوا الإنسان على نفسه، وهذا مخالف لما أمر الله به في الآية.
- أنْ يدعو ربه دعاء متكبر لا متضرّع، أو يدعو كالمستغني بما عنده، وهذا مِن أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضَّارع(٣).
- أنْ يطيل الدعاء فيما لا حاجة له، ويتكلَّف فيه، فقد جاء النهي عن ذلك، فعن ابن سعد بن أبي وقاص أنه قال: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة، ونعيمها، وبهجتها، وكذا، وكذا، وأعوذ بك مِن النار، وسلاسلها، وأغلالها، وكذا، وكذا، فقال: يا بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء»، فإياك أنْ تكون منهم، إنك إنْ أُعطيت الجنة أعطيتها وما فيها مِن الخير، وإنْ أُعذت مِن النار أعذت منها،

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: في المشيئة والإرادة ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، ٩/ ١٤٠، رقم: (٧٤٧٧).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: بيان أنه يستجاب للداعي مالم يعجل، فيقول: دعوت فلم يستجب لي، ٤/ ٢٠٩٦، رقم: (٢٧٣٥).
(٣) انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ٣/ ١٣.

وما فيها من الشر،[١] وروي أنَّ عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض، عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بُني، سل الله الجنة، وتعوذ به مِن النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»[٢].

- أنْ يتتبَّع ويتكلف السَّجع في الدعاء، فقد بوَّب البخاري في صحيحه: (باب ما يكره مِن السجع في الدعاء)[٣].

فكل ذلك لا يحبه الله عز وجل، وهو مِن الاعتداء في الدعاء، ومِن وجه آخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ففيه تهديد شديد على مَن ترك التضرع في الدعاء، فمن اتصف بتلك الصفات في الاعتداء في الدعاء فقد نال بغض الله عز وجل.

ثالثًا: الاعتداء في الطيبات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

نهى الله عز وجل عباده المؤمنين أنْ يُحرِّموا الطيبات التي أحلها الله لهم، وأنْ لا يكونوا كالقسيسين والرهبان الذين حرَّموا ما أحل الله لهم مِن الطيبات، مِن النساء والمطاعم والمشارب[٤]، وقد جاء في الحديث الصحيح أنَّ رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله إني

(١) سنن أبي داود، باب تفريع أبواب الوتر، باب: الدعاء، ٢/ ٧٧، رقم: (١٤٨٠). قال الألباني: (حسن). انظر: صحيح الجامع وزيادته، ١/ ٦٨٤.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب: الإسراف في الماء، ١/ ٢٤، رقم: (٩٦). قال الألباني: (صحيح). انظر: صحيح الجامع وزيادته، ١/ ٤٧١.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب: ما يكره من السجع في الدعاء، ٨/ ٧٤، رقم: (٦٣٣٧).
(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٠/ ٥١٣. وتفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ٢/ ٥٩-٦١. ومعالم التنزيل، للبغوي، ٣/ ٨٩-٩٠. والبحر المحيط، لأبي حيان، ٤/ ٣٥٠. والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٧/ ١٣.

إذا أصبت اللحم انْتَشَرْتُ للنساء وأخذتني شهوتي، فحرَّمتُ عليَّ اللحم، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٨٧-٨٨]"(١).

وبعد أنْ نهى الله عز وجل عباده المؤمنين عن تحريم الطيبات نهى عن الاعتداء فيها، فقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(٨٧)﴾ أي: هو اعتداء منكم أنْ تُحرِّموا ما أحللتُ لكم، والله لا يحب ذلك، بل يبغضه ويمقته ويعاقب على ذلك، ثم أمر سبحانه وتعالى بضد ما كان عليه أولئك المشركون الذين يحرِّمون ما أحله الله، فقال: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾(٢)، ثم جاء التذييل في الآية بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ(٨٨)﴾ ليُعلم أنَّ الإيمان بالله عز وجل مستلزم لتقواه(٣).

فالشريعة جاءت بالتيسير على الخلق، وأحلَّت لهم جميع الطيبات، ونهت عن التشدد فيما أحل الله، وأنْ لا يكونوا مثل الذين حرَّموا ما أحل الله لهم، وقد جاء في الصحيح أنَّ ثلاثة رهط جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلمَّا أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن مِن النبي ﷺ؟ قد غُفر له ما تقدَّم مِن ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أمَّا أنَا فإني أُصلِّي الليل أبدًا، وقال آخر: أنَا أصوم الدَّهر ولا أُفطر، وقال آخر: أنَا أعتزل النساء فلا أتزوَّج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺإليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأُصلِّي وأرقد، وأتزوَّج النساء، فمَن

(١) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة، ٥/ ٢٥٥، رقم: (٣٠٥٤). قال الألباني: (صحيح). انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، ٧/ ٥٤. وانظر: أسباب النزول، للواحدي، ص٢٠٥. ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص٨٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ٤/ ١١٨٩. تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٢٤٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم سورة المائدة، للعثيمين، ١/ ٣٠٧.

رغب عن سنتي فليس مني»[١]، فالمراد من قوله ﷺ: "مَن تَرك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني"[٢].

وبهذا نعلم أنَّ هذا الدين العظيم جاء ميسرًا للعباد، فلا يشق عليهم؛ لأنَّ الأصل في الأشياء الحل، إلا إذا دلَّ دليل على المنع[٣]، وكذلك نهاهم عن الاعتداء أنْ يحرموا ما أحله الله لهم، فمن اتصف بالاعتداء في الطيبات فقد نال بغض الله عز وجل.

رابعًا: الاعتداء في القول، قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]

يخبر سبحانه وتعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء مِن القول، بل يُبغض ذلك ويمقته، وكذلك يعاقب عليه، ويدخل في ذلك جميع الأقوال السيئة، كالشتم واللعن والطعن وغيرها، فكل ذلك منهي عنه، ويبغضه الله عز وجل ولا يحبه، ومفهوم الآية يدل على عكسها، وهي: أنَّ الله سبحانه وتعالى يحب القول الحَسن، كالكلام اللين الطيب[٤].

وجاء الاستثناء في هذه الآية بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا(١٤٨)﴾ ويعني بذلك: إلا المظلوم، فإنَّه يجوز له أنْ يجهر بالسوء لمن جهر له به، ولكن مِن غير كذب، ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدَّى غير ظالمه، ثم جاء التذييل في الآية بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا(١٤٨)﴾؛ لأنَّ الآية اشتملت على التحذير مِن الكلام السيئ، والترغيب بالكلام الحسن والمباح، أخبر عز وجل أنه سميع، أي: يسمع أقوالكم، وأنه عليم، أي: عليم بنياتكم ومصدر أقوالكم[٥].

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ٧/ ٢)، رقم: (٥٠٦٣).
(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٩/ ١٠٥.
(٣) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين، ١٣/ ١٩١.
(٤) انظر: التفسير البسيط، للواحدي، ٧/ ١٧٠-١٧١. ومعالم التنزيل، للبغوي، ٢/ ٣٠٤.
(٥) انظر: جامع البيان، للطبري، ٩/ ٣٤٩-٣٥٠. وبحر العلوم، للسمرقندي، ١/ ٣٥٢. والكشف =

فدلَّت هذه الآية على التحذير مِن الجهر بالسوء مِن القـول، وأنَّ هـذا الفعـل محرَّم بدليل قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ﴾[1]، وأنَّ الله يبغض ويكره ولا يحب هـذا الفعـل، فجـاء التحذير منه، ولذا ذُيلت الآية بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴿١٤٨﴾﴾[2].

وقد جاء عن النبي ﷺ أنَّه "لم يكن فاحشًا، ولا لعَّانًا، ولا سبَّابًا"[3]، فمن أراد أنْ يتَّصف بنبيه ﷺ، ويتجنب بغض الله له؛ فلا يعتدي في قوله.

=والبيان، للثعلبي، ٣/ ٤٠٧. والتفسير البسيط، للواحدي، ٧/ ١٧٠. وتفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ١/ ٤٩٦.

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٦/ ٦.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٥/ ٤٤٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن، ٨/ ١٥، رقم: (٦٠٤٦).

المبحث الخامس
من اتصف بالفساد

حذَّر الله عز وجل عباده المؤمنين مِن الفساد، وقد جاءت نصوص الشريعة محذرة مِن هذا الفعل الذي لا يحبه الله عز وجل؛ لأنَّ الفساد أعم مِن الظلم، فالظلم نقص، والفساد يقع عليه ويقع أيضًا على الابتداع واللهو واللعب(١)، فجاءت آيات كثيرة تذم مَن يفسد في الأرض، أو يبغون الفساد فيها بغير حق، أو يُعِينُون على الفساد فيها، ولهذا خشيت الملائكة مِن إفساد الأرض عندما أخبرهم عز وجل بأنه سيجعل في الأرض خليفة مِن البشر، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ويمكن تقسيم هذه الصفة التي لا يحبها الله عز وجل على النحو التالي:

أولاً: الفساد الواقع في الأرض بسبب الكفر، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٦٤)﴾ [المائدة: ٦٤].

ففي هذه الآية نجد أنَّ الله عز وجل حذَّر مِن الفساد الواقع في الأرض وذلك بالكفر بآيات الآية، وتكذيب رسله، ومخالفة أمره ونهيه، فسمَّى الله ذلك فسادًا؛ لأنه مِن أعظم الفساد الواقع في الأرض، وأيضًا يدخل في هذه الآية الفساد في الأرض بإثارة الفتن والحروب، وهتك المحارم، وسفك الدماء(٢).

(١) انظر: الكليات، للكفوي، ص٦٩٢.

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٠/ ٤٦١. وبحر العلوم، للسمرقندي، ١/ ٤٠٤. والكشف والبيان، =

فالآية تشمل الفساد الواقع في الأرض؛ إما بسبب الكفر والتكذيب -وهو ظاهر الآية-، أو بسبب إثارة الفتن والحروب، فكل مَن اتصف بهذه الصفات التي نهى الله عز وجل عنها نال بغض الله عز وجل.

ثانيًا: الفساد الواقع في الأرض بسبب بطر الناس وظلمهم، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧)﴾ [القصص: ٧٧].

وفي هذه الآية نجد أنَّ الله عز وجل حذَّر مِن الفساد الواقع في الأرض بسبب بطر الناس وظلمهم، وبغي البغاة، وفشوا المنكرات، لذا جاء التذييل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧)﴾ علَّة للنهي عن الإفساد؛ لأنَّ العمل الذي لا يحبه الله عز وجل لا يجوز لعباده عمله مهما كان(١).

فكل مَن اتصف بهذه الصفات التي نهى الله عز وجل عنها نال بغض الله عز وجل.

ثالثًا: الفساد الواقع في الأرض بسبب الحرق وقطع النخيل وغيرها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(٢٠٥)﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

وفي هذه الآية نجد أنَّ الله عز وجل حذَّر مِن الفساد الواقع في الأرض مِن حرق وقطع

=للثعلبي، ٧/ ٤٦٤. ومفاتيح الغيب، للرازي، ١٢/ ٣٩٨. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٦/ ٢٤١.

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٩/ ٦٥٢. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦/ ٢٥٣. والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٠/ ١٨٠.

الزرع والنخيل والنبات وغيرها، وكذلك إهلاك المواشي[١].

فكل مَن اتصف بهذه الصفات التي نهى الله عز وجل عنها نال بغض الله عز وجل.

وقد جاءت الآيات السابقة مبيِّنة لأنواع الفساد في الأرض، ويمكن تقسيمها كما يلي:

- الفساد في الأرض بالكفر بآيات الله، وجحود ما أنزل الله، وتكذيب رسله.
- الفساد في الأرض في سفك الدماء، وقتل المسلمين، وهتك ما حرَّم الله.
- الفساد في الأرض في انتشار المعاصي بين الناس، مِن الظلم والبغي وغيرها.
- الفساد في الأرض في انتهاك الحرث، بحرق وتقطيع الأشجار والنخيل والزرع وغيرها.
- الفساد في الأرض في إهلاك المواشي والدواب، بقتلها بغير حق.

فكل تلك الصفات جاء ذكرها في القرآن الكريم، وذيلت ببغض الله على مَن اتصف بها؛ لأنَّ تلك الصفات التي ذُكرت مِن صفات المنافقين، وقد قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ(١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ(١٢)﴾ [البقرة: ١١-١٢]، وفي المقابل جاء مدح أولئك الذين يسعون لإصلاح ما أفسد الناس، فقد قال النبي ﷺ: «الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء»، قيل: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»[٢].

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٤/ ٢٤٣. والتفسير البسيط، للواحدي، ٤/ ٧٧-٧٨. وتفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ١/ ٢٠٨. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٥٦٤. والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢/ ٢٧٠.

(٢) المعجم الأوسط، للطبراني، ٣/ ٢٥٠، رقم: (٣٠٥٦). والسنن والواردة في الفتن، للداني، ٣/ ٦٣٣، رقم: (٢٨٨. قال الألباني في السلسلة الصحيحة:، سند صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح)، ٣/ ٢٦٧.

المبحث السادس
من اتصف بالإسراف

نهى الله عز وجل عن الإسراف، وذم المسرفين المبذِّرين، وجعلهم إخوان الشيطان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا(٢٧)﴾ [الإسراء: ٢٧]، فلمَّا أمر الله عباده المؤمنين بالإنفاق، نهاهم عن الإسراف فيه، بل وأمرهم أنْ يكونوا في ذلك وسطًا بلا إسراف ولا إقتار، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا(٦٧)﴾ [الفرقان: ٦٧](١).

ويمكن تقسيم هذه الصفة -الإسراف- التي لا يحبها الله عز وجل على النحو التالي:

أولاً: الإسراف في الإنفاق، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(١٤١)﴾ [الأنعام: ١٤١]

ذكر المفسرون أنَّ لهذه الآية سبب نزول، وهي: "أنَّ ثابت بن قيس عَمَد إلى خمسمائة نخلة فجدَّها ثم قسَّمها في يوم واحد، ولم يدخل منها إلى منزله شيئًا، فأطعم غير أهله حتى أمسى وليست له ثمرة، فنزلت: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(١٤١)﴾(٢)".

والإسراف هو: تجاوز الحد في كل ما يفعله الإنسان، ويطلق الإسراف عمومًا على

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٥/ ٦٩.

(٢) انظر: تفسير سفيان الثوري، ص١١٠. وجامع البيان، للطبري، ١٢/ ١٧٤. ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ٢/ ٢٩٧. والكشف والبيان، للثعلبي، ١٢/ ٢٣٧. والتفسير البسيط، للواحدي، ٨/ ٤٨١. ومعالم التنزيل، للبغوي، ٢/ ١٦٤. والمحرر الوجيز، لابن عطية، ٢/ ٣٥٤. وزاد المسير، لابن الجوزي، ٢/ ٨٥. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٧/ ١١٠. والبحر المحيط، لأبي حيان، ٤/ ٦٧٠. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٣٤٩. والدر المنثور، للسيوطي، ٣/ ٣٦٩. ولم أقف عليه في كتب أسباب النزول إلا عند السيوطي في لباب النقول، ص٩٢.

الإنفاق، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا(٦٧)﴾ [الفرقان: ٦٧][١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٤١)﴾ أي: ولا تسرفوا في الإنفاق -كما ذُكر آنفًا في سبب نزولها-، وأيضًا هي عامة، داخلة في جميع معاني وأنواع الإسراف، فالله عز وجل ينهى ويحذِّر عباده المؤمنين مِن الإسراف بشكل عام، وبكافة أنواعه وصوره، وعلى وجه الخصوص الإسراف في الإنفاق، كما روي عن السدي أنه قال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ لا تعطوا أموالكم، فتقعدوا فقراء)[٢]، فالمعنى: إذا أعطى الإنسان كل ما يملك، ولم يُبق لعياله فقد أسرف؛ لأنه جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنًى، وابدأ بمن تَعُول»[٣].

وجاء التذييل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٤١)﴾ للزجر؛ لأنَّ الله عز وجل لا يحب كل تكلُّف، فمن تجاوز الحد وأسرف -ولو كان في الإنفاق- فإنه قد نال بغض الله عز وجل[٤].

وقد جاءت النصوص في التحذير والنهي عن الإسراف، خاصة في الإنفاق واللباس، فقد قال النبي ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة»[٥].

ثانيًا: الإسراف في الطعام، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١)﴾ [الأعراف: ٣١]

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، ص٤٠٧. والتعريفات، للجرجاني، ص٢٤.
(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٢/ ١٧٥-١٧٦.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ٢/ ١١٢، رقم: (١٤٢٦).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ١٣/ ١٦٥.
(٥) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، ٧/ ١٤٠.

أمرَ الله عز وجل عباده المؤمنين -بعد ما أنزل عليهم ﴿لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦] الآية- بستر عوراتهم عند كل صلاة، سواء كانت فريضة أو نفلًا، وأيضًا ستر العورة يدخل فيها اللباس الحسن النظيف، فالأمر هنا بستر العورة في الصلاة جاء باستعمال التجميل فيها، وأيضًا بنظافة السترة مِن الأنجاس والأدناس، ثم أمرهم الله عز وجل بأنْ يأكلوا ويشربوا مِن الطيبات التي أحلَّها الله لهم، وأنْ لا يسرفوا فيها[١]، وقد روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: (كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سَرَف، أو مَخِيلَة)[٢].

وفي تذييل الآية: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١)﴾ تهديد مِن الله عز وجل لكلِّ مَن أسرف في مأكله ومشربه[٣]، وأنَّ كل متَّصف بهذه الصفة سينال بغض الله عز وجل له، فمَن أسرف فقد تعدَّى حدَّه إمَّا في حلال أو حرام.

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١)﴾ يجد أنَّ الله عز وجل حذَّر عباده مِن الإسراف في الأكل والشرب؛ لأنَّ الإسراف فيهما مضرَّة للعقل والبدن، وكذلك تقسِّي القلب[٤]، لذا جاءت السنة المطهرة محذرةً وناهية عن الإسراف في الطعام، مبيِّنة لحال الإنسان في مأكله ومشربه، فقد قال النبي ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاءً شرًا مِن بطن، بِحَسْب ابن آدم أُكُلَاتٌ يُقِمن صُلبه، فإنْ كان لا محالة فثُلُثٌ لطعامه، وثُلُثٌ لشرابه، وثُلُثٌ لِنَفَسِه»[٥].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٢٨٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾، ٧/ ١٤٠.
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ١٤/ ٢٣٠.
(٤) انظر: الجوع، لابن أبي الدنيا، ص٧٣. وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٣٥٠.
(٥) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، ٤/ ٥٩٠، رقم: (٢٣٨٠). قال الألباني: (صحيح). انظر: صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٩٩٠.

المبحث السابع

من اتصف بالخيانة

مدح الله عز وجل عباده المؤمنين الذين راعوا أمور الأمانة والعهود، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ(٨)﴾ [المؤمنون: ٨]، بل إنَّ الأمانة مِن صفات المؤمنين، والخيانة مِن صفات المنافقين، كما قال النبي ﷺ في وصف المنافق: «وإذا اؤتمن خان»(١)، بل وجاء الوعيد الشديد مِن الله فيمَن اتَّصف بهذه الصفة، فقد قال النبي ﷺ: «قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ....»(٢)، ولعظمة هذا الفعل، وأنَّ الله يبغضه ولا يحب فاعله، فقد جاء الأمر بعدم خيانة الخائن، حتى وإنْ خانك، فقد قال النبي ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى مَن ائتمنك، ولا تخن مَن خانك»(٣)، ولذا قال تعالى عن الخيانة: ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، فلم يقل: فخانهم -كما في المكر والخدع والكيد-، وإنما قال: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾؛ لبشاعة هذه الصفة الذميمة.

ويمكن تقسيم هذه الصفة التي لا يحبها الله عز وجل على النحو التالي:

أولاً: الخيانة في القول، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا(١٠٧)﴾ [النساء: ١٠٧]

جاء التحذير في هذه الآية مِن الخيانة والكذب في القول، وللآية سبب نزول، وهي:

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، ١/ ١٦، رقم: (٣٣). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، ١/ ٧٨، رقم: (٥٩).
(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: إثم من باع حرًا، ٣/ ٨٢، رقم: (٢٢٢٧).
(٣) سنن الترمذي، أبواب البيوع، ٣/ ٥٥٦، رقم: (١٢٦٤). وقال الترمذي: (حديث حسن غريب). وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته: (صحيح)، ١/ ١٠٧.

"أنَّ إخوة ثلاثة يقال لهم: بشر وبشير ومبشر، وهم أبناء أُبيرق، وكان بشير شرهم، وكان منافقًا، وكانوا أبناء أُبيرق جيرة لرِفاعة بن زيد، فنقَّبوا مشربة[1] لرِفاعة بن زيد في الليل وسرقوا درعًا له وطعامًا، فعُثر على ذلك، وقيل: إنَّ السارق بشير وحده، فجاء ابن أخي رِفاعة واسمه قتادة بن النعمان يشكوهم إلى النبي ﷺ، فجاء أُسَيْر بن عروة إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ هؤلاء عمدوا إلى أهل بيت هم أهل صلاح ودين، فأنَّبوهم بالسرقة ورموهم بها مِن غير بيِّنة، وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله على قتادة ورِفاعة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا(١٠٧)﴾ [النساء: ١٠٧]"[2].

وقد نهى الله عز وجل نبيه أنْ يجادل عن كل خوان، وهو الذي تتكرَّر منه الخيانة، وكذلك الأثيم: الذي يقصدها، فالخيانة والنفاق كلاهما سواء، إلا أنَّ الخيانة تجيء في العهد والأمانة، والنفاق يجيء في الدِّين[3].

والمتأمل في سياق الآية -سابقها ولاحقها- يجد أنَّ في الآيات تهديدًا شديدًا على مَن خان بالقول، فقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا(١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا(١٠٦) وَلَا

(١) مشربة أي: غرفة. انظر: غريب الحديث، لابن قتيبة، ٢/ ٢١٦. والفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ٤/ ٢٥.

(٢) القصة مختصرة من الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٥/ ٣٧٥. وقد ذكرها الترمذي في سننه في أبواب التفسير، باب: ومن سورة النساء، ٥/ ٢٤٤)، رقم: (٣٠٣٦). قال الألباني: (حسن). وذكره الواحدي في أسباب النزول، ص١٨١. والسيوطي في لباب النقول، ص٧٠-٧١. ومن المفسرين: الطبري، ٩/ ١٧٧-١٧٨. وابن عطية، ٢/ ١٠٨-١٠٩. وابن الجوزي، ١/ ٥٦٤. وابن جزي، ١/ ٢٠٩. وأبو حيان، ٤/ ٥٥. وابن كثير، ٢/ ٣٥٨-٣٥٩.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، ص٣٠٥.

تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا(١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا(١٠٨)﴾ [النساء: ١٠٥-١٠٨]، فقد أمر الله عز وجل نبيه بأنْ يحكم بين الناس بما أمره، وأنْ لا يخاصم عن الخائنين، ثم أمره بالاستغفار مما صدر عنه، وأمره أنْ لا يجادل عن الذين يخونون أنفسهم بدفع ما صدر منهم مِن الخيانة، ثم بيَّن حال هؤلاء الخائنين أنهم ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ وأنهم ﴿يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾(١).

وقد جاءت صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿خَوَّانًا أَثِيمًا(١٠٧)﴾؛ ليخرج مِن ذلك مَن وقع منه مرة، وصدرت منه على سبيل الغفلة وعدم القصد، أمَّا مَن كانت الخيانة والإثم ديدنه، وكان مفرطًا فيها، فقد نال بغض الله عز وجل(٢).

ثانيًا: الخيانة في الفعل، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ(٥٨)﴾ [الأنفال: ٥٨]

أخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه إذا كان بيْن نبيه ﷺ وبيْن قومٍ ميثاقٌ وعهدٌ على عدم القتال وتركه، ثم خاف منهم خيانة، بأنْ يطرح ويرمي عليهم عهدهم، ويخبرهم أنه لا عهد بينهم، وذلك بسبب ظهور أمارات الغدر والخيانة منهم، وقد جاء التذييل في الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ(٥٨)﴾ أي: الناقضين عهدهم، فإنَّ الله لا يحب هذا الفعل، وهو الخيانة في العهود والمواثيق، فالجملة فيها تعليل للأمر بالنبذ(٣).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ١١/ ٢١٢-٢١٤. وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص١٩٩-٢٠٠. بتصرف.
(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري، ١/ ٥٦٢-٥٦٣. والبحر المحيط، لأبي حيان، ٤/ ٥٧.
(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٤/ ٢٧. وبحر العلوم، للسمرقندي، ٢/ ٢٨. ومعالم التنزيل، للبغوي، ٣/ ٣٧٠. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٧٩. وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٤/ ٣١.

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ(٥٨)﴾ يجد أنها تحتمل أنَّ الله عز وجل لا يحب الخائنين الذين عاهدهم النبي ﷺ، وتحتمل أيضًا أنه عز وجل لا يحب أنْ يكون نبيه ﷺ مِن الخائنين(١)، وهذا مِن معجز القرآن الكريم، ففي الآية الواحدة معانٍ كثيرة.

وقد جاءت النصوص في حفظ العهود والمواثيق، ولو كانت بين المؤمنين والكافرين؛ لأنَّ الله عز وجل أمرهم بحفظها كما قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ(٤)﴾ [التوبة: ٤]، وجاء عند الترمذي أنه (كان بين معاوية رضي الله عنه وبين أهل الروم عهد، وكان يسير في بلادهم، حتى إذا انقضى العهد أَغَارَ عليهم(٢)، فإذا رجل على دابة أو على فرس، وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدر، وإذا هو عمرو بن عَبَسَةَ، فسأله معاوية عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن كان بينه وبين قوم عهد فلا يَحُلَّنَّ عهدًا، ولا يَشُدَّنَّه حتى يمضي أَمدُه، أو ينبذ إليهم على سواء»، قال: فرجع معاوية بالناس)(٣).

فمن اتصف بهذا الفعل المذموم، وهو الخيانة بالفعل بنقض العهود والمواثيق، ولو كانت بينه وبين الكفار، فقد نال بغض الله عز وجل.

ثالثًا: الخيانة في الأمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ(٣٨)﴾ [الحج: ٣٨]

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ٢/ ٥٤٣. والبحر المحيط، لأبي حيان، ٥/ ٣٤١. والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ٥/ ٦٢٢. والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٠/ ٥٣.

(٢) أَغَارَ عليهم أي: هَجَم عليهم ديارهم، وأوقع بهم. انظر: شرح سنن النسائي، للإثيوبي الولوي، ٧/ ٢٣٤.

(٣) سنن الترمذي، أبواب السير، باب: ما جاء في الغدر، ٤/ ١٤٣، رقم: (١٥٨٠). قال الألباني في السلسلة الأحاديث الصحيحة: (إسناده صحيح، ورجاله ثقات)، ٥/ ٤٧٢.

أخبر الله عز وجل تعالى في هذه الآية أنَّه يُدافع عن الذين آمنوا به وبرسوله ﷺ، وفي هذا وعد وبشارة مِن الله عز وجل بأنْ يدافع عنهم كل شر ومكروه، فكلٌّ بحسب إيمانه تكون المدافعة والفضيلة، فإمَّا مستقل، وإمَّا مستكثر، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ(٥١)﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ(١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ(١٧٣)﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ(١٣)﴾ [الصف: ١٣]، وقد جعل العلة في ذلك النصر والدفاع أنه عز وجل لا يحب أضدادهم، وهم الخونة الكفرة، فقوله: ﴿اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ(٣٨)﴾ أي: خوان للأمانة، كفور لربه ونعمه(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾ قراءتان، القراءة الأولى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ﴾ (٢)، وهي إسناد الدفاع إلى الله على جهة المفاعلة مبالغة، أي: يبالغ في الدفع عنهم، والقراءة الثانية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَدْفَعُ﴾(٣)، إسناد الدفع إلى ضمير اسم الله عز وجل؛ لأنه الدافع وحده سبحانه وتعالى(٤).

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنَّ الله عز وجل لم يذكر ما يدفعه عن المؤمنين؛ ليكون أعظم وأفحم وأعم، وإنْ كان في الحقيقة أنه يدافع بأس الكفار،

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، ٢/ ٤٦١. والكشف والبيان، للثعلبي، ٧/ ٢٥. تفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ٣/ ٤٤١. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٥/ ٤٣٣. وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٥٣٩.

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف العاشر. انظر: التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، ص٤٤٠. والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ٢/ ٣٢٦.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب. انظر: التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، ص٤٤٠. والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ٢/ ٣٢٦.

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ص٢٥٤. وحجة القراءات، لأبي زرعة، ص٤٧٧-٤٧٨. وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للبناء، ص٣٩٩.

فلذلك قال بعدها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ(٣٨)﴾، فجاء التنبيه على أنه يدفع عن عباده المؤمنين كيد مَن هذه صفته، وفي هذا بشارة للمؤمنين بإعلائهم على غيرهم(١).

وجاءت كلمة ﴿كُلَّ﴾ في سياق النفي، وهي تدل على عموم نفي محبة الله عن جميع الخائنين الكافرين، لذا جاءت جملة ﴿خَوَّانٍ كَفُورٍ(٣٨)﴾ للمبالغة في الخيانة والكفر(٢).

ولا شك أنَّ الخيانة مِن صفات المنافقين التي جاء التحذير منها، بل ما انتشرت الخيانة في قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، فقد قال النبي ﷺ: «ما نقض قوم العهد قط إلا سلط الله عليهم عدوهم، ...»(٣).

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ٢٣/ ٢٢٨. واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، ١٤/ ٩٩.

(٢) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، ٢/ ٤٦١. والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٢/ ٤١. وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٦/ ١٠٨. وأضواء البيان، للشنقيطي، ٥/ ٢٦٢.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب: الخروج من المظالم والتقرب إلى الله تعالى بالصدقة ونوافل الخير رجاء الإجابة، ٣/ ٤٨٣، رقم: (٦٣٩٨). قال الألباني في السلسلة الصحيحة: (إسناده صحيح)، ١/ ٢١٩.

المبحث الثامن

من اتصف بالاستكبار

قال تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ(٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ(٢٣)﴾ [النحل: ٢٢-٢٣].

في هذه الآية بيَّن عز وجل إبطال إلهية غيره، فجاءت الآية مبتدئة بقوله: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ ، ثم ذكر حال الذين لا يؤمنون بالآخرة أنهم يُنكرون توحيد الله، وأنهم مستكبرون عن عبادته، وهذا لا يخفى على الله م عز وجل ِن إسرارهم أو علانيتهم، فجاءت بصيغة الوعيد ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، ثم جاء التذييل في الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ(٢٣)﴾ ، وهو تعليل لِما قبله؛ وجاء التعريف في ﴿الْمُسْتَكْبِرِينَ(٢٣)﴾للاستغراق، أي: لا يحب كل مستكبر(١).

والآية جمعت أنواع الكِبْر الثلاثة، وهي:

- الكِبْر على الله عز وجل تعالى، في جحود ألوهيته، وترك طاعته، وصرف العبادة لغيره عز وجل.
- ثم الكِبْر على رسوله ﷺ بالامتناع مِن الانقياد له، وعدم طاعته فيما أمر، وتصديقِه فيما أخبر، واجتنابِ ما نهى عنه وزجر.

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ١٧/ ١٨٩-٢٦٩. وتفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ٣/ ١٦٦. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ٣/ ٣٨٧. ومفاتيح الغيب، للرازي، ٢٠/ ١٩٦. وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٥/ ١٠٦-١٠٧. والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٤/ ١٢٩.

- ثم الكِبْر على العباد، بأنْ يستعظم نفسه، ويستحقر غير[١].

وقد جاء النهي في ذلك، وأنَّ الله يبغض هذه الصفة، ويبغض فاعلها، فعن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقال ذرة مِن كِبر»، قال رجل: إنَّ الرجل يحب أنْ يكون ثوبه حسنًا ونَعْلُه حسنة، قال: «إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكِبر بَطَرُ الحق، وغَمْطُ الناس»[٢].

وصفة التكبُّر صفة مذمومة، ومَن اتصف بها فقد اتصف بصفات أهل النار، فقد قال النبي لأصحابه رضي الله عنهم: «ألا أخبركم بأهل النار؟» قالوا: بلى، قال: «كل عتل جواظ[٣] مستكبر»[٤]، وهي صفة اتصف بها إبليس اللعين، عندما تكبَّر وأبى أنْ يسجد لآدم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ(٧٥)﴾ [ص: ٧٣-٧٥].

(١) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، ١/ ١١٨. بتصرف.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، ١/ ٩٣، رقم: (١٤٧).
(٣) الجواظ: هو الجموع المنوع، المختال في مشيته. انظر: الغريبين في القرآن والحديث، للهروي، ١/ ٣٨٤.
(٤) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، ٤/ ٢١٩٠، رقم: (٢٨٥٣).

المبحث التاسع

من اتصف بالاختيال والافتخار والفرح والبطر

ذمَّ الله عز وجل المختال، وهو المتكبر الذي يأنف مِن الناس[١]، وذمَّ الفخور، وهو الذي يباهي في الأشياء الخارجة عن الإنسان، كالمال والجاه، ويعدِّد مناقبه كبرًا وتطاولًا[٢]، فنهى الله عز وجل عباده المؤمنين مِن اجتناب الاختيال والافتخار، وجاءت السنة المطهرة لتبيِّن بغض الله عز وجل لكل مختال في البغي، فقال النبي ﷺ: «...، وإنَّ مِن الخيلاء ما يبغض الله، ومنها ما يحب الله، فأمَّا الخيلاء التي يحب الله: فاختيال الرجل نفسه عند القتال، واختياله عند الصدقة، وأمَّا التي يبغض الله: فاختياله في البغي»[٣].

ويمكن تقسيم هذه الصفة التي لا يحبها الله عز وجل على النحو التالي:

أولاً: الاختيال والافتخار مع الأقربين، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا(٣٦)﴾ [النساء: ٣٦]

في هذه الآية ذُكر الاختيال والافتخار؛ لأنَّ المختال يأنف مِن ذوي قراباته إذا كانوا فقراء، وكذلك يأنف مِن جيرانه إذا كانوا كذلك، فتراه لا يُحْسنُ عِشرتهم، وقد ذَكر الله عز

(١) انظر: غريب القرآن، لابن قتيبة، ص١٢٧. وغريب القرآن، للسجستاني، ص٤٣٥. وتحفة الأريب بما في القرآن من غريب، لأبي حيان، ص١١٣. والتبيان في تفسير غريب القرآن، لابن الهائم، ص١٣٩.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، ص٦٢٧. والتبيان في تفسير غريب القرآن، لابن الهائم، ص١٣٩.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب: في الخيلاء في الحرب، ٣/ ٥٠، رقم: (٢٦٥٩). قال الألباني: (حسن).

وجل ما يحسُن للمرء أنْ يتَّصف به، وهو الإحسان إلى الوالدين، وذي القربى، واليتامى، والمساكين، والجار، والصاحب، وابن السبيل، وما ملكت اليمين، ثم جاء نفي المحبة عمَّن هذه صفته -وهي الاختيال والافتخار-، وهو ضرب مِن التوعد، وخصَّ الله عز وجل هاتين الصفتين هنا؛ لأنَّ مَن اتصف بهما فإنه سيلزمه الإخلال بمن ذُكر في الآية ممن يكون عليه حق لهم، فلذلك نفى الله محبته عن المعجبين والباخلين، فقد قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧]، ثم أضاف إلى الاختيال ذم الفخور؛ لئلَّا يُقدِم على فعل هذه الحقوق لأجل الرياء والسمعة، بل لمحض أمر الله عز وجل، وإرضاء له، فلذلك جاء ذم الاختيال، وأردفه بذم الافتخار، فنفى الله عز وجل محبته عن المتصف بهاتين الصفتين(١).

وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة في التحذير مِن الاتصاف بهاتين الصفتين، وأنَّ الله عز وجل قد أعدَّ لمن اتصف بهما أشد العذاب، قال النبي ﷺ: «بينما رجل يَتَبَخْتَر، يمشي في برديه قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»(٢)، وروي عن أبي ذر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله»، ثم ذكر مِن الثلاثة الذين يبغضهم الله عز وجل: «الفخور المختال»(٣).

(١) انظر: معالم التنزيل، للبغوي، ٢/ ٢١٣. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ٢/ ٥١. ومفاتيح الغيب، للرازي، ١٠/ ٧٨. والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ، ٥/ ١٩٢. والبحر المحيط، لأبي حيان، ٣/ ٦٣٣. ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٥/ ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه، ٣/ ١٦٥٤، رقم: (٢٠٨٨).

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري، ٣٥/ ٤٢١-٤٢٢، رقم: (٢١٥٣٠). قال الألباني: (صح إسناده). انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٥/ ٢٤٣.

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ يجد أنَّ الآية ابتدأت بالأمر بعبادة الله عز وجل وحده، وترك الشرك، ثم اختُتمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا(٣٦)﴾ ففيه تعريض بأخلاق أهل الشرك، لِمَا عرفوا به مِن الغلظة والجفاء، فجاءت الآية في معنى التحذير مِن بقايا الأخلاق التي كان عليها أهل الشرك(١).

وفي هذه الآية الأمر بالإحسان إلى القرابة، كما قال تعالى: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾، فجاء ذكرها مستقلًّا ولو لم يكن هناك للرجل وَالِدَان، فحق القرابة في ذلك ثابت وباق(٢)، والاختيال والافتخار مع الأقربين صفة لا يحبها الله.

ثانيًا: الاختيال والافتخار مع عامَّة الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(١٨)﴾ [لقمان: ١٨]

وفي هذه الآية ذُكر الاختيال والافتخار مع عامَّة الناس، فذَكر الله عز وجل فيها وصية لقمان لابنه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(١٨)﴾، فنهى لقمان ابنه مِن أنْ يلوي ويصد بوجهه عن الناس؛ لأنَّ في ذلك احتقار لهم، وتكبُّرًا عليهم، وقد أمرنا نبينا ﷺ بطلاقة الوجه، فقال: «كل معروف صدقة، وإنَّ مِن المعروف أنْ تلقى أخاك بوجه طَلْقٍ، ...»(٣)، ونهاه أنْ يمشي في الأرض بالخيلاء والبطر، وأنْ يعظم نفسه(٤).

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٥/ ٥١.
(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم، للعثيمين، ١/ ٣٠٩-٣١٠.
(٣) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر، ٤/ ٣٤٧، رقم: (١٩٧٠). قال الألباني: (حسن). انظر: صحيح الجامع وزياداته، ٢/ ٨٣٧.
(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢٠/ ١٤٤-١٤٥. وبحر العلوم، للسمرقندي، ٣/ ٢٦. وتفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ٤/ ٢٣٣. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦/ ٣٣٨-٣٣٩. وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٦٤٨.

والمتأمل في هذه الآية، يجد أنَّ الله عز وجل ذكر كلمة ﴿ يُحِبُّ﴾ على صيغة المضارع؛ لأنها سبقت بـ﴿لَا﴾، ولم يقل: إن الله يبغض كل مختال فخور؛ ليدل على أنَّ هاتين الصفتين لا يحبهما الله حالًا، وفيما يُستقبل مِن الزمان، لا على التقييد في الحال فقط[١]، وهي كذلك في كل الصفات التي يبغضها الله عز وجل ولا يحبها.

ثالثًا: الاختيال والافتخار بالنفس، قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(٢٣)﴾ [الحديد: ٢٣]

نهى الله عز وجل عباده المؤمنين بألَّا يحزنوا على ما فاتهم بشيء مِن الدنيا، ولا يفرحوا فرحًا شديدًا يجعلهم يأشروا[٢] فيه ويبطروا، والمراد مِن الآية: أنْ لا يحزن المسلم الحزن الشديد على ما فاته، فيحدث عنه التسخط وعدم الرضا، ولا يفرح الفرح المؤدِّي إلى البطر المنهي عنه، فإنَّ الحزن قد ينشأ عنه البطر، ولذا جاء التذييل في الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(٢٣)﴾، الفرح بما ناله مِن حطام الدنيا يلحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر[٣].

وقد جاءت اللام في أول الآية: ﴿لِّكَيْلَا﴾ وهي تفيد جعل أوَّل الكلام سببًا لآخره، أي: أخبرناكم بذلك لكيلَا يحصل لكم الحزن المقنط، والفرح المطغي؛ لأنَّ الله عز وجل ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(٢٣)﴾، فالآية جمعت الحزن والفرح، فالمصيبة تكون مِن خير وشر[٤]، كما روي

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ١٥/ ١٧٧.
(٢) الأشر: معناه في كلام العرب: البطر، وهو يدل على الحِدَّة، انظر: الصحاح، للجوهري، ٢/ ٥٧٩، مادة: أشر.
(٣) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢٣/ ١٩٧. ومعاني القرآن، للزجاج، ٥/ ١٢٨. وتفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ٥/ ٣٧٧. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ٥/ ٢٦٨. والبحر المحيط، لأبي حيان، ١٠/ ١١٢. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٨/ ٢٧.
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ٢٩/ ٤٦٧. واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، ١٨/ ٤٩٥.

عن ابن عباس ﷺ قال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكن مَن أصابته مصيبة فجعلها صبرًا، ومَن أصابه خير فجعله شكرًا)[١].

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(٢٣)﴾، يجد أنَّ الله عز وجل قدَّم النهي عن الأسى، وأخَّر النهي عن الفرح، ثم ذكر أنه عز وجل ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(٢٣)﴾، ليخبرنا أنَّ الفرح المنهي عنه أقبح مِن الأسى[٢]، فدل ذلك أنه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر له، أمَّا الفرح بنعمة اللهَّ والشكر عليها فليس بمذموم، ومَن اتصف بتلك الصفات فلا شك أنَّه داخل في الاختيال والتكبر، مما يجعله مبغوضًا عند الله عز وجل.

رابعًا: الفرح والبطر بالدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(٧٦)﴾ [القصص: ٧٦]

ففي هذه الآية يخبرنا سبحانه وتعالى عن حال قارون، وأنَّ الله عز وجل أعطاه مِن كنوز الدنيا، ولكنَّه بَغى وطغى، وقد نصحه قومه بأنَّ الله عز وجل لا يحب الفرحين، أي: الأشرين البطرين البذخين[٣].

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، ٢٣/ ١٩٨. والدر المنثور، للسيوطي، ٨/ ٦٢. وذكره ابن أبي شيبة في مصنفه، ٧/ ١٣٧. والحاكم في المستدرك، ٢/ ٥٢١. والبيهقي في شعب الإيمان، ١٢/ ٢٢٥. وصححه الحاكم في المستدرك.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٨/ ٢١١.

(٣) وهو قول مجاهد. انظر: جامع البيان، للطبري، ١٩/ ٦٢٣. والدر المنثور، للسيوطي، ٦/ ٤٣٨. وانظر: بحر العلوم، للسمرقندي، ٢/ ٦١٩-٦٢٠. وتفسير القرآن العظيم، للسمعاني، ٤/ ١٥٦. ومعالم التنزيل، للبغوي، ٦/ ٢٢١. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ٤/ ٢٩٩. ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، ٢/ ٦٥٧. وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦/ ٢٥٣. وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص٦٢٣.

والفرح المنهي عنه هنا هو: الفرح المفرط المذموم، الذي يقود إلى التَّعلق بالدنيا، فكأنَّ الآية: إنَّ الله لا يحب الفرحين بلذَّات الدنيا، ثم جاء بعدها ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧][١].

والمتأمل في الآية يجد أنَّ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴿٧٦﴾﴾ تعليل للنهي قبلها، وأنَّ الفرح والبطر والتكبر لا يحبه الله عز وجل، وأيضًا في نفي محبته عز وجل عنهم تنبيه على أنَّ عدم محبته كافٍ في الزجر عمَّا نهى عنه، فكيف إذن بالبغض والعقاب؟[٢]

وقد جاءت النصوص الشرعية في النهي عن الفرح المؤدِّي إلى البطر والتَّكبر، وجاء التحذير الشديد فيها، والوعيد لمن اتصف بذلك، فعن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى مَن جَرَّ إزاره بطرًا»[٣]، قال ابن حجر: («جَرَّ» أي: جرَّه تكبرًا وطغيانًا، وأصل البطر الطغيان عند النعمة، واستعمل بمعنى التكبر)[٤].

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ أو قال أبو القاسم: «بينما رجل يمشي في حُلَّة، تُعْجِبُه نفسه، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إذ خسف الله به، فهو يَتَجَلْجَلُ[٥] إلى يوم القيامة»[٦].

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٠/ ١٧٨.
(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٧/ ٢٥. وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ١٠/ ٣١٨. والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٠/ ١٧٨.
(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: من جر ثوبه من الخيلاء، ٧/ ١٤١، رقم: (٥٧٨٨).
(٤) فتح الباري، ١٠/ ٢٥٨.
(٥) الجلجلة: حركة مع صوت، وهو الذهاب بالشيء والمجيء به، أي: يسوخ في الأرض حين تخسف به فلا يثبت، ولا يزال في الانحدار. انظر: غريب الحديث، لأبي إسحاق الحربي، ١/ ١٢٥. والغريبين في القرآن والحديث، للهروي، ١/ ٣٥٩. وتفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي، ص١٩٣.
(٦) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب: من جر ثوبه من الخيلاء، ٧/ ١٤١، رقم: (٥٧٨٩).

فالكبر والاختيال والافتخار والفرح والبطر أخلاق ذميمة، يبغضها الله عز وجل، والنصوص كثيرة في النهي عنها، والوعيد الشديد فيمن اتصف بها، فقد قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: قال الله عز وجل: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما، قذفته في النار»[1].

(١) سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب: ما جاء في الكبر، ٤/ ٥٩، رقم: (٤٠٩٠). قال الألباني: (صحيح). انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١/ ٣٨٧.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

فبعد الوقوف في هذا البحث على الصفات التي لا يحبها الله عز وجل، وجمع الآيات التي اقترن فيها اسمه عز وجل بالصفة التي لا يحبها في عباده، ودراستها دراسة موضوعية، خلُص هذا البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، وفيما يلي أهم النتائج التي توصلتُ إليها:

١. إثبات صفة الحب والمحبة لله عز وجل، وإثبات ضدها وهي عدم المحبة، ويدخل فيها البغض والكره.
٢. اقترن عدم محبة الله ل عز وجل عباده بخمس عشرة صفة، جاء ذكرها مفصلًا في البحث.
٣. ارتبطت صفات من لا يحبهم الله عز وجل في القرآن الكريم وأضدادها من حيث الأسباب الداعية لذلك، إما من حيث العلاقة به، أو بعباده المؤمنين، أو بالكفار والمشركين، أو ببعض المخلوقات كالأشجار والبهائم، وهذا من كمال رحمته ولطفه وعدله.

التوصيات

١. جمع أقوال المفسرين المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في تلك الصفات، ودراستها دراسة تحليلية، والرد عليها.
٢. دراسة تلك الآيات دراسة موضوعية، وربطها بالسنة المطهرة، والأحداثِ التي وقعت في عهد النبوة.
٣. دراسة تلك الآيات دراسة بلاغية، وبيان العمق الدلالي لتذييل تلك الصفات بها.

فهرس المصادر والمراجع

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ). المحقق: أنس مهرة. الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان. الطبعة: الثالثة ١٤٢٧هـ.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

أساس البلاغة. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

أسباب نزول القرآن. المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ). المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. الناشر: دار الإصلاح – الدمام. الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

الأسماء والصفات للبيهقي. المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (لمتوفى: ٤٥٨هـ). حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي. قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي. الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ). الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان. عام النشر : ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

إعراب القرآن. المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ). وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم. الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

الاقتصاد في الاعتقاد. المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ). وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣ هـ). الناشر: مكتبة الأزهرية للتراث. الطبعة: الثانية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ). المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ.

بحر العلوم. المؤلف: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

البحر المحيط في التفسير. المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان. (المتوفى: ٧٤٥هـ). المحقق: صدقي محمد جميل. الناشر: دار الفكر بيروت. ١٤٢٠هـ.

بدائع الفوائد. المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

البرهان في علوم القرآن. المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي

(المتوفى: ٧٩٤هـ). المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ. الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

البلاغة العربية. المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ). الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.

التبيان في تفسير غريب القرآن. المؤلف: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ). المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد. الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت. الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ.

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس. سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ). المحقق: سمير المجذوب. الناشر: المكتب الإسلامي. الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: د. محمد بن عودة السعوي. الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض. الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

التسهيل لعلوم التنزيل. المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن. عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ). المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي. الناشر: شركة

دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت. الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ.

التعريفات. المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ). المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

تفسير أسماء الله الحسنى. المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ). المحقق: أحمد يوسف الدقاق. الناشر: دار الثقافة العربية.

تفسير أسماء الله الحسنى. المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبيد بن علي العبيد. الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. الطبعة: العدد ١١٢ – السنة ١٤٢١هـ.

التفسير البسيط. المؤلف: أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي. (المتوفى: ٤٦٨ه). طبعة جامعة الإمام.

تفسير الثوري. المؤلف: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى: ١٦١هـ). الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

تفسير الجلالين. المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). الناشر: دار ابن كثير.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ). المحقق: أسعد محمد الطيب. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثالثة ١٤١٩هـ.

تفسير القرآن العظيم. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ). المحقق: سامي سلامة. الناشر: دار طيبة. الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

تفسير القرآن الكريم سورة المائدة. المؤلف: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

تفسير القرآن الكريم سورة النساء. المؤلف: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ.

تفسير القرآن. المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ). المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم. المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي (المتوفى: ٤٨٨هـ). المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز. الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر. الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

تلبيس إبليس. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). المحقق: عبد الرحمن اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.

التيسير في القراءات السبع. المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ). المحقق: اوتو تريزل. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن. المؤلف: أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد الآملي، (المتوفى: ٣١٠هـ). المحقق: أحمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

الجامع لأحكام القرآن. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ). المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.

الجوع. المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ). تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. الناشر: دار ابن حزم، بيروت لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

حجة القراءات. المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ). محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني. الناشر: دار الرسالة.

الحجة في القراءات السبع. المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ). المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت. الناشر: دار الشروق – بيروت. الطبعة: الرابعة ١٤٠١هـ.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ). المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط. الناشر: دار القلم، دمشق.

الدر المنثور. المؤلف: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). الناشر: دار الفكر – بيروت.

دلائل الإعجاز في علم المعاني. المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ). المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر. الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة. الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ). المحقق: علي عبد الباري عطية. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

زاد المسير في علم التفسير. المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). المحقق: عبدالرزاق المهدي. الناشر: دار الكتاب العربي بيروت. الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

زاد المعاد في هدي خير العباد. المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ.

الزواجر عن اقتراف الكبائر. المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ). الناشر: دار الفكر. الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة: الأولى.

سنن أبي داود. المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ). المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي. الناشر: دار الرسالة العالمية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

سنن الترمذي. المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ). تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر. ومحمد فؤاد عبد الباقي. وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

الشافي في شرح مسند الشافعي لابن الأثير. المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ). المحقق: أحمد بن سليمان - ياسر بن إبراهيم. الناشر: مكتبة الرشد، الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.

شرح العقيدة الواسطية. المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية. تأليف: محمد خليل هراس. تحقيق: علوي عبدالقادر السقاف. الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع.

شرح العقيدة الواسطية. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصمي. الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ.

الشرح الممتع على زاد المستقنع. المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ). دار النشر: دار ابن الجوزي. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.

شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى». المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي (المتوفى: ١٤٤١هـ) الناشر: دار المعراج الدولية للنشر. دار آل بروم للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى.

شرح صحيح البخاري. المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ). تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض. الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

شعب الإيمان. المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ). حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ م.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى. المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ). الناشر: دار الفيحاء – عمان. الطبعة: الثانية ١٤٠٧ هـ.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين بيروت. الطبعة الرابعة، ١٤٠هـ.

صحيح البخاري. المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

صحيح الجامع الصغير وزياداته. المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). الناشر: المكتب الإسلامي.

صحيح مسلم. المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ). المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

صحيح وضعيف سنن الترمذي. المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ). مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، السبكي (المتوفى: ٧٧٣هـ). المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي. الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة. المؤلف: الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني (المتوفى: ٤٤٩هـ). دراسة وتحقيق: ناصر بن عبدالرحمن بن محمد الجديع. الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

غريب الحديث. المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (المتوفى: ٢٨٥). المحقق: د.سليمان العايد. الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة. الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

غريب الحديث. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ). المحقق: د. عبد الله الجبوري. الناشر: مطبعة العاني – بغداد. الطبعة: الأولى ١٣٩٧هـ.

غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب. المؤلف: محمد بن عُزير السجستاني (المتوفى: ٣٣٠هـ).

المحقق: محمد أديب عبد الواحد جمران. الناشر: دار قتيبة سوريا. الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

غريب القرآن. المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ). المحقق: أحمد صقر. الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية). السنة: ١٣٩٨ هـ.

الغريبين في القرآن والحديث. المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ). تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

الفائق في غريب الحديث والأثر. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار المعرفة – لبنان. الطبعة الثانية.

الفتاوى الكبرى لابن تيمية. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري. المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

قاعدة في المحبة. المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ). المحقق: محمد رشاد سالم. الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). الناشر: دار الكتاب العربي. الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن. المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ). تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

لباب التأويل في معاني التنزيل. المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ). المحقق: تصحيح محمد علي شاهين. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

لباب النقول في أسباب النزول. المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ). ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

اللباب في علوم الكتاب. المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ). المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ). المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ). المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل. المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ). حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي. راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو. الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

المستدرك على الصحيحين. المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

مسند الإمام أحمد بن حنبل. المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر. الناشر: دار الحديث – القاهرة. الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار. المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ). دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ). الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ. المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ). المحقق: حاتم صالح الضامن. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

معالم التنزيل في تفسير القرآن. المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ). المحقق: عبد الرزاق المهدي. الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

معاني القرآن وإعرابه. المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ). المحقق: عبد الجليل عبده شلبي. الناشر: عالم الكتب – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

مفاتيح الغيب. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي. (المتوفى: ٦٠٦هـ). الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

مفتاح العلوم. المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ). ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

المفردات في غريب القرآن. المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ). المحقق: صفوان عدنان الداودي. الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت. الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم. المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ). المحقق: د. عبد الغفار سليمان

البنداري. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان. الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

الناسخ والمنسوخ. المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: ٤١٠هـ). المحقق: زهير الشاويش، محمد كنعان. الناشر: المكتب الإسلامي بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

الناسخ والمنسوخ. المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ). المحقق: د. محمد عبد السلام محمد. الناشر: مكتبة الفلاح الكويت. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

النشر في القراءات العشر. المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ). المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ). الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح. المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور. الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - دار السلام للطباعة والنشر. الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ). الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.